المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرؤوف الرحيم والصلاة والسلام على الرحمة المهداة إلى الخلق أجمعين، محمَّدٍ وآله وصحبه والتابعين.

وبعد...

كلما قرأت سورة المجادلة تنازعني شعوران يتعلقان بهذه المحاورة العظيمة خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها).

شعور أسى الحالة المريرة التي عاشتها وهي تصارع الخوف من فراق الزوج الحبيب، والبيت الذي بنته يوماً فيوم، والأولاد الذين درجوا تحت نظرها فكبروا ساعة فساعة، والرجل الذي لم يبخل عليها بشيْ مهما نزر، أكلَّ هذا تهدمه كلمة نزقة يتفوه بها زوجها في لحظة لمم يصيبه بين الفينة والأخرى؟.

وشعور آخر شعور فخر، واعتزاز بشجاعة هذه الأنصارية وصبرها وهي تحاور الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يعود على نساء الأمَّة بالخير والاستقرار، تحاول أن يلغى قانون جاهلي في الظهار بحكم شرعي ذا عقوبة تردع المتهورين من الرجال كي يبتعدوا عن هذا اليمين الأهوج، هذا الإصرار منها بأدب عالٍ، وخلق رفيع ، تمزجه بتضرع إلى الله وشكوى ترفعها يديها إلى السماء، حتَّى يضج من في بيت النبوَّة لها بالبكاء لينزل الأمر الإلهي الفوري بالحل، فيبسم ثغر المصطفى وهو يهنئها بالفرج الناجز لها ولكل أبناء جنسها إلى يوم الدين.

هذه الحادثة وجدتها متناسقة مع عنوان المؤتمر العلمي الذي تزمع كليتنا المباركة أن تعقده، فعزمت أن أكتب فيها للمشاركة في هذا المؤتمر، وأنا المرأة التي هدفت دائماً إلى خدمة النساء المسلمات، وعشت سنين طويلة أدرس في هذه الكلية الموقرة.

وقد جعلت البحث في مبحثين:

المبحث الأول: في حياة خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت رضي الله عنهما.

المبحث الثاني:في المجادلة:

عرض الحادثة، سبب الظهار، الأحكام، الفور والتراخي في نزول القرآن الكريم.

وختمت البحث بإيجاز ما فيه.

والله أسأل أن ينفعنا وأن يغفر لنا أنَّه سميع مجيب.

المبحث الأول

الصحابية الجليلة خولة بنت ثعلبة

لم يرد اسم هذه المرأة في القرآن الكريم صراحة، وإنَّما أشير إليها بصفة المُجادِلة، لأنَّها جادلت النَّبي(ﷺ) في زوجها، وسُمِّيت السورة التي ضمت هذه الآية بالمجادلة، نزل قوله تعالى مُخاطباً رسوله الكريم(ﷺ):﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ (المجادلة:١).

فمن هي هذه المرأة المجادلة التي سمع الله تعالى قولها وحوارها مع الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي تشتكي إلى الله تعالى؟ وما قصتها؟.

اسمها ونسبها:

هي الصحابية الجليلة خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف الخزرجيَّة الأنصاريَّة، وما ذكرت من اسمها هو الأصح من الروايات، والذي عليه أكثر أهل العلم[١]، فقد اختلفت الروايات في اسمها فمنهم من سمَّاها خولة، ويقال لها بالتصغير خويلة[٢]، ومنهم من سمَّاها جميلة[٣].

---

[١] ورد التصريح بذكر اسمها خولة بنت ثعلبة في رواية الإمام أحمد في(مسنده:٤٥/٣٠٠، حديث رقم(٢٧٣١٩))، وأبي داود في(سننه:كتاب الطلاق-باب في الظهار، حديث رقم (٢٢١٤))، وابن ماجه في(سننه كتاب الطلاق-باب الظهار:١/ ٦٦٦، حديث رقم(٢٠٦٣))، والطبري في(تفسيره:٢٣/ ٢٢٧)، وابن أبي حاتم في(تفسيره:١٠/٣٣٤٢)، والحاكم في (المستدرك :٥٢٣/٢، حديث رقم(٣٧٩١))، والبيهقي في(سننه الكبرى:٧/ ٦٢٨، حديث رقم (١٥٢٤٣))، والواحدي في (أسباب النزول:ص ٤٠٨).قال الحافظ في(الفتح:١٣/٣٧٤): وهذا أصحُّ ما ورد في قصة المجادلة وتسميتها ولمزيد فائدة ينظر:الدر المنثور للسيوطي:٨/٧٠-٧١) .

[٢] كذا ذكر ابن عبد البر في(الاستيعاب :٤/ ١٨٣١)، وابن كثير في (تفسيره:٨/٦٧).

[٣] كما ذكر ابن شبة في رواية له في(تأريخه:٢/٣٩٨)، وأبي داود في (سننه:٢/٢٦٧، حديث رقم(٢٢١٩))، والحاكم في(المستدرك:٢/٥٢٣، حديث رقم(٣٧٩٢))، والبيهقي في(معرفة السنن والآثار:١١/ ١١٥، حديث رقم(١٤٩٦٨)).

كما اختلفوا في اسم أبيها فمنهم من سمَّاه الصامت[1]، ومنهم من سمَّاه حكيم[2]، ومنه من سمَّاه الدليج[3]، ومنهم من سمَّاه خويلد[4]، ومنهم سمَّاه مالك بن ثعلبة[5]، والصحيح ما ذكرناه أولاً من أنَّ اسمها (خولة بنت ثعلبة).

ولادتها:

لم تسعفني المصادر من تحديد تأريخ ولادتها وهذا ليس غريباً ، فقد ولدت قبل هجرة النبي (ﷺ)، وكان قومها آنذاك لا يأبهون بتأريخ ولادة أطفالهم.

صفاتها:

تأكد المصادر نشأت وترعرت في بيت كريم، ذي فصاحة وأدب وشجاعة،

---

[1] كما ورد في رواية أخرجها ابن شبة في (تاريخ المدينة :٢/ ٣٩٥)، والطبري في(تفسيره:٢٣/ ٢٢٢)، والطبراني في(المعجم الكبير:٢٤/٢٤٧، حديث رقم(٦٣٤))، من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن يزيد بن يزيد عن خولة بنت الصامت. قال الطبرانيُّ:هكذا قال: خولة بنت الصامت، وهي خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت. قال الذهبيُّ في (المغني في الضعفاء :٢/٧٥٤)، وفي (ميزان الاعتدال:٤/٤٢٢) يزيد بن يزيد عن خولة في المجادلة قال البخاريُّ: في صحته نظر. وتبعه ابن حجر في (لسان الميزان:٨/٤٩٥). وروى ابن كثير في(تفسيره :٨/ ٣٥) عن ابن أبي حاتم باسناده ، قال: المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت، وأمَّها معاذة التي أنزل الله فيها: {ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا} [النور: ٣٣]، قال ابن كثير: صوابه: خولة امرأة أوس بن الصامت.

[2] سمَّاها عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) في رواية أخرجها ابن شبة في(تاريخ المدينة :٢/ ٣٩٤) بسنده عن خليد بن دعلج، عن قتادة .

[3] كما ذكر في رواية أخرجها الطبري في(تفسيره:٢٣/ ٢١٩) عن أبي العالية.

[4] كذا ورد في رواية أخرجها أخرجه الطبري في(تفسيره:٢٣/٢٢١)، والبيهقي في(سننه الكبرى:٧/٦٢٩، حديث رقم (١٥٢٤٥)) عن عكرمة، عن ابن عبَّاس ، وفيه :" كانت تحته ابنة عم له يقال: لها خويلة بنت خويلد".قال الماوردي في(تفسيره:٥/٤٨٧): وليس هذا بمختلف ،خولة بنت ثعلبة. وقيل : بنت خويلد ؛ لأنَّ أحدهما أبوها، والآخر جدها.

[5] كذا سمَّاها البيهقي في رواية له في(سننه الكبرى:٧/ ٦٤٢، حديث رقم(١٥٢٨٤))، بسنده عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة قالت: ظاهر مني زوجي...الحديث.

حتَّى أنَّ المحتمي بهم يطلقون له العنان بقول ما يشاء اعتمادا على بسالتهم في حمايته، أمَّا خولة فشبت في هذا البيت أديبة بليغة، كما تنبئ عن ذلك مقالاتها المروية عنها.

وتأكد المصادر أنَّ خولة(رضي الله عنها) تتصف بالجمال، واكتناز الجسم حتى أنَّها كانت مطلوبة مرغوبة، كما وصفت هي نفسها أمام رسول الله(ﷺ) .

زواجها:

تزوجت السيدة خولة من ابن عمَّها الصحابيِّ الجليل أوس بن الصامت بن قيس ابن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم الخزرجيِّ، الأنصاريِّ، أخو عبادة بن الصامت، وأمَّهما قرة العين بنت عبادة بن نضلة، خزرجيّة، أنصاريَّة.

وقد اسلم وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله(ﷺ) وقد آخى رسول الله(ﷺ) بينه، وبين الصَّحابي مرثد بن أبي مرثد الغنويِّ[1]، حليف حمزة ابن عبد المطلب، وكان شاعراً، ومن شعره:

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدي ... أبوه عامر ماء السماء[2]

عاش طويلاً بعد النَّبي(ﷺ) وأدرك خلافة عثمان بن عفان(رضي الله عنه)، حيث توفي سنة أربع وثلاثين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وقيل: ابن خمس وثمانين سنة، واختلفوا في مكان وفاته، فقيل : بالرملة من أرض فلسطين ، وقيل : بالمدينة المنورة.[3]

---

[1] ينظر ترجمته في(معجم الصحابة للبغوي:٥/٤٣٠،الجرح والتعديل لابن أبي حاتم:٨/ ٢٩٩، معرفة الصحابة لأبي نعيم:٥/ ٢٥٦٢،الاستيعاب في معرفة الأصحاب:١٣٨٣/٣).

[2] عزاه إليه ابن عبد البر في(الاستيعاب:١١٨/١)،ومغلطاي في(إكمال تهذيب الكمال:٢٩٠/٢) وعزاه ابن الأثير في(أسد الغابة:٣٢٤/١)لأوس بْن ضمعج الحضرمي من أهل الكوفة.

[3] ينظر ترجمته في(الطبقات الكبرى:٤١٣/٣، الثقات لابن حبان:١٠/٣، مشاهير علماء الأمصار:ص ٣٨، معرفة الصحابة لأبي نعيم:٣٠١/١-٣٠٢، الاستيعاب في معرفة الأصحاب :١١٨/١، أسد الغابة:١٧٢/١، إكمال تهذيب الكمال:٢٩٠/٢، تهذيب الأسماء :١/ ١٢٩، تاريخ الإسلام:١٨٦/٢، الإصابة في تمييز الصحابة:٣٠٢/١).

رواياتها:

لقد نقلت كتب الحديث والتفسير والتراجم روايات عدَّة عن ظهار زوجها منها، وما قامت به من محاورات لرسول الله (ﷺ) وشكواها إلى الله حتَّى نزل القرآن الكريم بسماع حوارها والاستجابة لحل مشكلتها، وقد رواها عنها يوسف بن عبد الله بن سلام. [1]

وفاتها:

كما لم تسعفنا المصادر في بيان تأريخ ولادتها شحت علينا بذكر تأريخ وفاتها، فرضي الله عنها وأرضاها، وجزاها عمَّا فعلته للمسلمين خيراَ، ولا يضرها أن لا نعرف تأريخ ولادتها ووفاتها.

المبحث الثاني
في حادثة المجادلة

عرض الحادثة

في الروايات الواردة عن هذه الحادثة بعض الاختلافات في الألفاظ والسياقات، لكنها لا تصل إلى حد التعارض، أو التناقض، بل يمكن لملمتها وجمعها للمتأني إذا أخذ بنظر الاعتبار عدة عوامل:

منها الرواية بالمعنى، والاختصار عند البعض، والإطناب عند البعض الآخر، ونظر البعض إلى جانب من الرواية يراه لب الموضوع ، في حين يرى غيره أن

---

[1] ينظر ترجمتها في:(الطبقات الكبرى: ٨/٢٨٠، المنفردات والوحدان ص:٩٠، التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة:٢/ ٨٠٣، الثقات لابن حبَّان:٣/١١، البداية والنهاية:٧/ ١٥، الاستيعاب في معرفة الأصحاب:٤/١٨٣٠-١٨٣٢ ، تلقيح فهوم أهل الأثر: ص٢٩٧،٢٣٩، تهذيب الكمال في أسماء الرجال :٢٨/ ٣١٣، من له رواية في مسند أحمد:٦٢٠، تهذيب التهذيب :١٢/٤١٤، الإصابة في تمييز الصحابة:٨/ ٧١).

الجانب الآخر هو الأهم، وهنا سنعتمد رواية الصَّحابية الجليلة خولة نفسها فهي أدرى لما حصل لها ولا يمكنها أن تنسى منه ما حدث وإن كانت تلتفت إلى جزيئات سنعرج عليها من روايات الآخرين تزيد الأمر بياناً وتوضيحاً.

فقد أوردت كتب التفسير، والحديث، والسِّير والتراجم عن خولة بنت ثعلبة (رضي الله عنها) أنَّها قالت:((والله فيَّ، وفي أوس بن صامت أنزل الله عزَّ وجلَّ! صدر سورة المجادلة، قالت: كنت عنده، وكان شيخا كبيراً، قد ساء خلقه، وضجر. قالت: فدخل على يوما فراجعته بشيءٍ فغضب، فقال: أنت على كظهرِ أمي، قالت: ثمَّ خرج فجلس في نادي قومه ساعة، ثمَّ دخل عليَّ فإذا هو يريدني على نفسي، قالت: فقلت كلا، والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليَّ، وقد قلت ما قلت حتّى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه، قالت: فواثبني، وامتنعت منه ،فغلبته بما تغلب به المرأة الشَّيخ الضّعيف، فألقيته عني، قالت: ثمَّ خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها، ثمَّ خرجت حتَّى جئت رسول الله (ﷺ) فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه (ﷺ) ما ألقى من سوء خلقه ، قالت فجعل رسول الله (ﷺ) يقول يا خويلة ابن عمك شيخ كبير، فاتقي الله فيه، قالت: فو الله ما برحت حتى نزل في القرآن فتغشى رسول الله (ﷺ) ما كان يتغشاه، ثمَّ سرى عنه، فقال لي: يا خويلة قد أنزل الله فيك، وفي صاحبك، ثمَّ قرأ عليَّ:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٤ ﴾(المجادلة:١-٤)، فقال لي رسول الله (ﷺ) مريه فليعتق رقبة، قالت: فقلت والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين، قالت: فقلت والله يا رسول الله إنَّه شيخ كبير ما به من

صيام، قال: فليطعم ستين مسكيناً وسقا من تمر، قالت: قلت والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت، فقال رسول الله (ﷺ) فإنَّا سنعينه بعرق من تمر، قالت: فقلت وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، قال: قد أصبت ، وأحسنت، فاذهبي فتصدقي عنه، ثمَّ استوصي بابن عمك خيراً قالت ففعلت)) [1].

قد يكون في هذه الرواية إجمال يحتاج إلى بيان، لذلك سنطلب البيان من روايات أخرى، من ذلك نوع الجدال، ونوع الشكوى إلى الله تعالى اللذان ذكرهما القرآن بقوله تعالى:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ وهذا ما يبينه رواية السيدة عائشة(ﷺ)، والروايات الأخرى، فالشكوى هي في قولها: ((يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتَّى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللَّهم إنِّي أشكو إليك)) [2].

---

[1] أخرج هذه الرواية بتمامها الإمام أحمد في(مسنده:٤٥/٣٠٠-٣٠٢ ، حديث رقم(٢٧٣١٩))، وأبو داود في (سننه-باب الظهار: ٢/٢٢٦، حديث رقم (٢٢١٤) ، وفي حديث رقم (٢٢١٥))، من طريق عن محمَّد بن إسحاق، عن معمر بن عبد الله بن حنظلة، عن يوسف ابن عبد الله بن سلام، فذكره، قال محققه(الأرناؤوط): إسناده ضعيف لجهالة معمر بن عبد الله بن حنظلة، فلم يرو عنه سوى محمَّد بن إسحاق، وقال ابن القطَّان في(بيان الوهم والإيهام: ٤/٤٦٤):مجهول الحال، وقال الذَّهبيِّ في (ميزان الاعتدال:٤/ ١٥٥): كان في زمن التابعين،لا يعرف، وذكره ابن حبَّان في ثقاته، قلت:ما حدث عنه سوى ابن إسحاق بخبر مظاهرة أوس بن الصامت.أ.هـ، وبقية رجال الإسناد ثقات، وأخرجه ابن الأثير في(أسد الغابة:٧/٩٢) في ترجمة (خولة بنت ثعلبة) من طريق الإمام أحمد بهذا الإسناد، وابن حبَّان في(صحيحه-باب الظهار:١٠/١٠٧، حديث رقم(٤٢٧٩)) وابن عبد البر في(الاستيعاب:٤/١٨٣٠-١٨٣٣) مختصراً، في ترجمة (خولة بنت ثعلبة) من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد، به، وابن الجارود في(المنتقى من السنن المسندة ص:٣٠٤، حديث رقم(٧٤٦))، والطَّبري في(تفسيره:٢٣/ ٢١٩-٢٢٣)، والطبراني في(معجمه الكبير:١/٢٢٥، حديث رقم(٦١٩))، وفي٢٤/٢٤٧، حديث رقم(٦٣٣))، والمزي في(تهذيب الكمال:٢٨/٣١٣) عند ترجمة معمر بن عبد الله، من طرق عن ابن إسحاق، به. وحسنَّه الحافظ في(الفتح:٦٥٨/٧٦-٧٧).

[2] طرف من حديث عائشة(رضي الله عنها)، رواه إسحاق بن راهويه في(مسنده:٢/ ٢٢٢، حديث رقم(٧٣١))، والإمام احمد في(مسنده:٤٠/ ٢٢٨،حديث رقم(٢٤١٩٥))، بلفظ:" الحمد لله

إمَّا الجدال فإنَّها حين عرضت ذلك لرسول الله(ﷺ) قال لها:((ما أراك ألاَّ قد حرمت عليه))، فلم تستسلم، وإنَّما أعادت عرض شكواها مؤكدة أنَّ هذا القول الشنيع هو من فعل الجاهلية وأنَّه لم يطلقها فكرر الرسول عليه السلام قوله :((ما أراك ألاَّ قد حرمت عليه))، ، فعادت تلح مرة أخرى ، والرسول عليه السلام يكرر قوله :((ما أراك ألاَّ حرمت عليه))، وهنا نزل جبريل عليه السلام بالوحي ولم تدرك خولة ذلك لذهولها بما هي فيه، ولم تنتبه إلاَّ بعد تنبيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لها، تقول السيدة عائشة(رضي الله عنها) واصفة حالها: ((فلقد بكيت وبكى من كان في البيت؛ رحمة لها، ورقة عليها، فبينا هي كذلك بين يدي رسول الله(ﷺ) تكلمه، وكان

الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت خولة إلى رسول الله(ﷺ) تشتكي زوجها فكان يخفى عليَّ كلامها، فأنزل الله عز وجل:{قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ..الآية}(المجادلة: ١] ، وعلَّقه البخاريُّ بصيغة الجزم في(صحيحه –باب قول الله تعالى:﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾، وقال الأعمش عن تميم عن عروة عن عائشة، قالت:الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات فأنزل الله تعالى على النَّبيِّ(ﷺ) قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها :ص٣٦٨٤، قبل الحديث رقم (٧٣٨٦))، ورواه عبد بن حميد في(مسنده:ص ٤٣٨، حديث رقم(١٥١٤)) بلفظ: " تبارك الذي وسع سمعه الأصوات، إن المرأة لتناجي رسول الله(ﷺ) أسمع بعض كلامها...الحديث، وابن شبة في(تاريخ المدينة:٢/٣٩٤)، والنسائي في(سننه الصغرى:كتاب الطلاق–باب الظهار:٦/ ١٦٨، حديث رقم(٣٤٦٠))، وابن ماجه (في سننه:كتاب الإيمان وفضائل الصحابة–باب فيما أنكرت الجهمية:١/ ٦٧، حديث رقم(١٨٨))، بلفظ ابن راهويه، وفي باب الظهار:١/ ٦٦٦، حديث رقم (٢٠٦٣)) ، بلفظ:" تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله (ﷺ) وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات:{قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...} (المجادلة :١)"، والطَّبريُّ في(تفسيره:٢٨/٥–٦)، والحاكم في(المستدرك:٢/٢٣، حديث رقم(٣٧٩١))، بلفظ مقارب لابن ماجة في باب الظهار، قال :هذا حديث صحيح الإسناد، وأقره الذَّهبيُّ، والبيهقيُّ في(سننه الكبرى:٧/٣٨٢، حديث رقم(١٥٦٣٧))، من طريق أبي عبيدة ابن معن المسعوي.وفيه" يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع له ولدى ظاهر منى اللهم إنى أشكو إليك.قالت عائشة (رضي الله عنها):فما برحت حتى نزل جبريل (عليه السلام) بهؤلاء الآيات {قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها} قال: وزوجها أوس بن الصامت.

رسول الله(ﷺ) إذا نزل عليه الوحي يغط في رأسه ويتربد وجهه، ويجد بردا في ثناياه، ويعرق حتى يتحدر منه مثل الجمان، قالت عائشة: يا خولة إنَّه لينزل عليه ما هو إلاَّ فيك، فقالت: اللَّهم خيرا فإني لم أبغ من نبيك إلاَّ خيرا، قالت عائشة:فما سري عن رسول الله(ﷺ) حتَّى ظننت أن نفسها تخرج فرقا من أن تنزل الفرقة، فسري عن رسول الله(ﷺ) وهو يتبسم، فقال: يا خولة، قالت: لبيك ، ونهضت قائمة فرحاً بتبسم رسول الله(ﷺ) ثمَّ قال: قد أنزل الله فيك وفيه، ثم تلا عليها الآية)).

وحين انتهت هذه المأساة بنزول القرآن الكريم عادت خولة إلى بيتها مطمئنة لتجد زوجها لدى الباب قلقاً ، يترقب فقال: يا خولة ما واراك ؟ قالت خيراً وأنت ذميم، قد أمرك رسول الله أن تأتي أم المنذر بنت قيس فليأخذ منها شطر وسق من تمر فتصدق به على ستين مسكيناً ، قالت خولة :فذهب من عندي حتى جاء به على ظهره ، وعهدي به لا يحمل خمسة أوسق ، قالت: فجعل يطعم مدين تمر لكُلِّ مسكين. [1]

وإن كانت هذه الروايات كشفت لنا عن بعض الإجمال في الرواية الأولى فإن ورود اسم أم المنذر بنت قيس يبقى مجهولاً ، وهذا ما أزاحته رواية أخرى تقول: أنَّ أم المنذر بنت قيس[2] سبق لها أن أعلمت رسول الله(ﷺ) أنَّ لديها وسق تمر صدقة تحت تصرف رسول الله لذلك أحاله عليها.

كما أبانت بعض الروايات سبب عجزه عن الصيام على لسان خولة (رضي الله عنها) عندما قال لها عليه السلام:((مريه فليصم شهرين متتابعين، فقالت: والذي بعثك بالحق، لو كلفته ثلاثة أيام ما استطاع، وكان الحر))[3] ، فقد عللت سبب عدم

---

[1] أخرج هذه الرواية ابن سعد في (الطَّبقات:٨/ ٣٧٨-٣٧٩)، وأوردها بلفظ مقارب الحلبيُّ في(السيرة الحلبية :٣/٤٢)، وابن العماد في(شذرات الذَّهب:١/١٣٩-١٤١).

[2] أم المنذر بنت قيس بن عمرو بن عبيد، من بني مازن بن النَّجار، هي أخت سليط بن قيس، أحدى خالات النَّبيِّ (ﷺ)، أو عمته، أسلمت وبايعت رسول الله(ﷺ)، وصلت معه القبلتين، وروت عنه.(ينظر ترجمتها في: الطبقات الكبرى:٨/٤٢٢، الثقات لابن حبَّان :٣/ ٤٦١، أسد الغابة:٧/ ٣٨٨، تهذيب الكمال:٣٥/٣٨٧).

[3] رواها أبو نعيم في (معرفة الصحابة:٦/ ٣٣١٣، حديث رقم(٧٦٠٣)).

قدرته على الصيام أن الجو كان حاراً وأنَّه يحتاج إلى شرب الماء كثيراً مع كبر سنه ممَّا يجعل الصوم له ممتنعاً.

سبب الظهار:

أرجعت الصحابية الجليلة خولة بنت ثعلبة سبب الظهار إلى خلاف حصل بينها، وبين زوجها أوس بن الصامت (ﷺ) ممَّا أثار حفيظته فظاهر منها[1] – وما سكتت عن بيانه السيدة خولة الأنصارية بينته بعض الروايات، من أنَّها كانت امرأة جميلة ممتلئة، وشاهدها زوجها، وهي ساجدة تصلي، فثارت غرائزه، فأرادها فامتنعت فحصل الظهار–، وقد يقول قائل لمَ امتنعت، وهي تعلم أنَّ رسول الله(ﷺ) أمر المرأة بطاعة زوجها في مثل هذه الأمور؟، والجواب من وجوه:

الوجه الأول: إنَّ هذا حصل قبل التوجيه النَّبويِّ.

الوجه الثاني: إنَّها لم تعلم بهذا التوجيه.

الوجه الثالث: إنَّها لم تمتنع مطلقاً وإنَّما أرادت فسحة من الوقت ، لكنه ثارت ثائرته لما كان يعتريه من لمم ، كما ذكر في بعض الروايات.

الوجه الرابع: قد لا يكون هذا السبب صحيحاً وإن كان إبهام السِّيدة خوله له يشير إلى صحته، وسكت عنه حياءً.

ومهما يكن فالخلاف في الأسرة الواحدة في بعض الجزيئات لا يخل بتماسكها وحسن نسيجها، يدلل على ذلك أمور كثيرة في هذه الحادثة أهمها:

١. سرعة ندمه.
٢. إعلانها حبها له وحبه لها، وصلتها به وصلته بها.
٣. إلحاحها للعودة إليه لتسانده في أيام شيخوخته وضعفه.
٤. خمود أي حادثة سيئة بعدها ، كما لم يذكر عن حوادث سيئة قبلها.

---

[1] ينظر ص٨:هامش ٢، وللمزيد ينظر: أسباب النزول للواحدي: ٢٧٣–٢٧٤.

الأحكام :

أولاً: حكم الظهار والبراءة الأصلية.

يتفق الفقهاء من كل المذاهب الإسلامية على أنَّ الأشياء قبل ورود الأحكام الشرعية هي البراءة الأصلية، ويعنون بهذا أنه لا حكم شرعي لها من وجوب، أو ندب، أو أباحة، أو كراهة، أو حرمة بل يعمل الإنسان على مألوف أعراف قومه حتَّى يأتي حكم الله فالخمر مثلاً كانت تعاقر بلا اعتراض من أحد، ولا منع من رسول الله (ﷺ) حتَّى جاء تحريمها بالنص القرآني، وكثير من الأحكام الشرعية التي جاء بها الرسول (ﷺ)، أو نزل بها القرآن الكريم كانت ملزمة قبل ورودها عن الشرع.

وكذلك الظهار، فهو عند عرب الجاهلية طلاق بأن لا رجعة معه أبداً، لذلك عندما جاءت خولة (رضي الله عنها) إلى رسول الله (ﷺ) تحاوره في زوجها، وما حصل منه ، ولم يكن عند رسول الله (ﷺ) حكم شرعي رجع معها إلى قاعدة البراءة الأصلية، لذلك قال لها: ((ما أراك إلاَّ قد حرمت عليه))، وهذا على جاري أعراف النَّاس، وحين البحث في الشكوى، وردت بعض الروايات عن رسول الله (ﷺ) قوله: ((ما أمرت في شأنك بشيء حتَّى الآن، ولكن ارجعي إلى بيتك، فإن أومر بشيء لا أغممه عليك إن شاء الله)) [1]، وبعد أن طال الحوار بينها وبين رسول الله (ﷺ) نزل الحكم الألهي في الظهار.

والظِّهار لغةً: مصدر ظاهر، يظاهر، ظِهارًا ، وظاهر الرجل من امرأته ظهاراً، وتظهر، وتظاهر إذا قال لها: أنت علي كظهر أمي، مشتق من الظهر ، وذكر الظهر باعتبار أنَّ الظهر كناية عن الركوب، فالمرأة بمنزلة المركوب للرجل، ولهذا إذا طلقها قيل: نزل عن امرأته، يعني فارقها، فالمرأة بمنزلة المركوب للرجل، فيمكن أن يكون عبرَّ بهذا لهذا السبب، وإذا قال: أنت عليّ كظهر أمي، يعني: أنت

---

[1] أخرج هذه الرواية الطبريُّ في (تفسيره: ٢٢٢/٢٣)، والثَّعلبيُّ في (تفسيره:٩/ ٢٥٣)، والبغويُّ في(تفسيره:٥/ ٣٨)، وابن عادل في(تفسيره اللباب: ص ٤٨٤١).

محرمة عليّ لا يحل ركوبك، وذلك أن تقول لها: أنت عليَّ كظهر أمي، فكانت تطلق في الجاهلية بذلك.[1]

واصطلاحاً:

فقد عرفه الحنفية بأنَّه: هو أن يشبه الرجل امرأته، أو عضوا يعبر به عن بدنها، أو جزءا شائعاً منها بعضو لا يحل النظر إليه من أعضاء من لا يحل له نكاحها على التأبيد.

وعرفه المالكية بأنه: تشبيه المسلم المكلف من تحل، أو جزأها بظهر محرم، أو جزئه.

وعرفه الشافعية بأنه: تشبيه الزوجة غير البائن بأنثى لم تكن حلاً.

وعرفه الحنابلة بأنَّه: أن يشبه امرأته، أو عضوا منها، بظهر من تحرم عليه على التأبيد، أو بها، أو بعض منها. [2]

وقد استبشع العرب في جاهليتهم هذا الاستخدام لما فيه من تقزز يخدش شيم العرب، وكرامته في حفظ، وصيانة مكانة الأم، والأخت والبنت، لذلك لم يجعلوا للمتلبس بهذا الجرم أية حلية للخروج منه، فهو عندهم أعظم شناعة من الطلاق بل كان البعض منهم يستخدم الطلاق لتعذيب المرأة في سوء استخدامه حيث كان يطلق الزوجة، وحينما تقترب نهاية عدتها يرجعها ثم يطلقها، وهكذا دواليك حتَّى جاء الإسلام فوضع حداً لهذا التلاعب.

ففي حديث هشام بن عروة، عن أبيه:((كان الرجل إذا طلق امرأته ثمَّ ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان ذلك له، وإن طلقها ألف مرة، فعمد رجل إلى امرأة له فطلقها، ثمَّ أمهلها حتَّى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها، ثمَّ طلقها، وقال: والله لا

---

[1] ينظر في (غريب الحديث لابن قتيبة :١/ ٢٠٩، تهذيب اللغة :٦/ ١٣٥، النهاية في غريب الحديث والأثر :٣/ ١٦٥، مختار الصحاح :ص: ١٩٧).

[2] ينظر في:(الاختيار لتعليل المختار:٣/١٦١، البحر الرائق:٤/١٠٢،مختصر خليل:ص ١٢٥، المهذب:٤/ ١٩٠٩، تحفة المحتاج: ٨/ ١٧٧، المغني لابن قدامة:٨/ ٥).

آويك إلي، ولا تحلين أبدا))، فنزل الله عزَّ وجلَّ قوله: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ (البقرة:٢٢٩) أبطالاً لهذه الحال التي كانوا عليها.

أمَّا الظهار فقد تعارفوا على جعله طلاقاً بأيناً بينونة كبرى لا يحقّ لصاحبه أن يعود إلى زوجته المظاهر منها أبداً ، وما هذه العقوبة الصارمة عندهم إلاَّ جزاءً بقبح الجريرة التي أرتكبها صاحبها، ومن هنا لا نستغرب حين نقرأ في روايات الحادثة أنَّ الصحابيَّ أوس بن الصَّامت هو أول من ظاهر في الإسلام، فمكارم الأخلاق تبعد الرجل المتزن عن استخدام هذه الألفاظ الممجوجة لذلك لم تصدر من صحابي جليل طيلة الزمن الذي سبق هذه الحادثة ولعلَّها عندما صدرت من أوس بن الصامت(ﷺ) صدرت منه وهو في حالة نفسية مضطربة ، حيث وصف بأنه شيخ كبير قد ساء خلقه، والمراد بإساءة الخلق هنا قلة التحمل لما يعتور الشيخوخة من الألم، وأمراض تجعل صاحبها قليل الصبر.

لذلك لم نجد في تشريعنا الإسلامي في عصر الرسول عليه السلام تكرار لهذا الفعل الشنيع ، اللهم إلاَّ ما وقع لصحابي آخر أراد أن يخرج نفسه كي لا يقع في محظور فظاهر ظهاراً مقيداً، لكنه لم يستطع الالتزام فوقع فيما أراد التخرج منه، فجاء رسول الله(ﷺ) فحكم عليه بمثل ما حكم على أوس بن الصامت، فقد ورد أنَّ الصحابي سلمة بن صخر[1] ظاهر من زوجته مدة شهر رمضان كي لا يقع في محذورات شرعية في رمضان، لكنه وفي ضعف بشري قد وقع في المحظور، حيث واقع زوجته في نهار رمضان، فاستعان بأقاربه ليذهبوا معه إلى رسول الله (ﷺ) فرفضوا، فذهب منفردا إلى رسول الله عارضاً عليه ما حصل له، فأمره الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام بعتق رقبة فاعتذر بعجزه عن ذلك، فأمره بصيام شهريين متتابعين فاعتذر قائلاً :" يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلاَّ من الصوم ؟"، فأمره بإطعام ستين مسكيناً فاعتذر بفقره، قائلاً: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا

---

[1] وهو الصَّحابيُّ سلمة بن صخر بن سليمان بن الصمَّة الأنصاريُّ، الخزرجيُّ، يقال له : سلمان، ويقال له: البياضيُّ لأنّه حالفهم، ظاهر من امرأته.(ينظر ترجمته في:معرفة الصحابة لأبي نعيم:٣/ ١٣٣٣، الاستيعاب:٢/٦٤١، تهذيب الكمال:١١/٢٤٤، الإصابة:٣/١٢٦).

وحشاً ما لنا عشاء، فوجههُ الرسول عليه السلام أن يأخذ صدقات قومه، فيعطي منها المساكين الستين، ويأكل هو وعياله ما زاد عن ذلك، فقال كلماته الطيبة مخاطباً قومه: " وجدت عندكم الضيق، وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله(ﷺ) السعة والبركة، وقد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي. قال: فدفعوها إليه" [1] .

والجدير بالذكر أنَّ القرآن الكريم قد نبه على الخطيئة التي يقارن فيها الشخص بين ظهر أمه وظهر زوجه، ولكنه لم يحدد حكماً شرعياً لمن يظاهر، في سورة الأحزاب بقوله تعالى﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الأحزاب:٤)، وذكر محمَّد عزت دروزة، أنَّ هذه الآية نزلت قبل سورة المجادلة. [2]

تصرف الإمام بالصدقات:

توضح لنا هذه الحادثة مسألة بالغة الأهمية في إدارة الدولة الإسلامية للأموال، حيث تدلل فقرة منها على أنَّ الإمام يدير أموال الصدقات بما يراه مناسباً؛ وذلك من خلال صدقة أم المنذر بنت قيس فبعد أن أخبرت النبيَّ عليه الصلاة والسلام أنَّها قد تصدقت بصدقة هي تحت أمره في طريق صرفها، وجد النَّبيُّ (ﷺ) أن هذا الرجل المعدم والمخطئ بآن واحد أحقُّ بها، فصرفها إليه لأجل أن يدفعها للفقراء تعويضاً عن الذي أقترفه ، وإذا كان الأمر هنا يقتصر على دفع غرامة الذنب

---

[1] رواه الإمام أحمد في(مسنده:٢٦/ ٣٤٧، حديث رقم(١٦٤٢١))، وأبو داود في(سننه:كتاب الطلاق، باب في الظهار:٢/٢٦٥، حديث رقم(٢٢١٣))، والترمذي في(سننه:أبواب التفسير–باب وفي سورة المجادلة:٥/٢٥٨، حديث رقم(٣٢٩٩))، قال:هذا حديث حسن، وأخرجه أيضا في(كتاب الطلاق–باب ما جاء في كفارة الظهار:٢/٤٩٥، حديث رقم(١٢٠٠))، قال:هذا حديث حسن.يقال: سلمان بن صخر، ويقال:سلمة بن صخر البياضيّ، وابن ماجه في(سننه: كتاب الطلاق، باب الظهار:١/٦٦٥، حديث رقم(٢٠٦٢))، والحاكم في (المستدرك:٢/٢٢١،حديث رقم(٢٨١٥))، قال:صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[2] ينظر:التفسير الحديث : ٨/٤٧١.

للفقراء؛ فأن ذلك لا يقتصر على هذا فقط بل قد يتجاوزه إلى دفع المبلغ المطلوب، وما زاد يتصرف به وفق حوائج عائلته كما فعل النبيُّ(ﷺ) مع الرجل الآخر، حيث وجهه بأخذ صدقات قومه، ودفع مستحقات المساكين عليه، وما زاد منها ينفقه على عياله الفقراء. وفي هذا أمر أخر وهو واجب الدولة أمام رعاياها، وأن لا تهمل الفقير يموت جوعاً، بل عليها مساعدته بكُّل الوسائل الممكنة سواء كان ذلك من بيت المال، أو بتوجيهه الوجهة الصحيحة للكسب، أو بجمع التبرعات له كي يعيش بها.

استعارة الثياب من الجارة:

تعلن السيدة خولة بنت ثعلبة(رضي الله عنها) أنَّها وبعد أن رفضت طلب زوجها، خرجت إلى جارتها تستعير منها بعض ثيابها لتتجمل بها في مقابلة الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا وإن كان خلقاً نبيلاً يدل على التعاون بين الجيران لكنه يتسق مع التوجيه النبويِّ في هذا الصدد كما هو صريح في حديث صلاة العيد حيث سألت أحداهن رسول الله أعلى أحدانا بأس إذا لم يكن لها جلباب أن لا تخرج –تعني لصلاة العيد–؟ قال(ﷺ):((لتلبسها صاحبتها من جلبابها، ولتشهد الخير ودعوة المسلمين)) [1].

وهذا الأمر وإن كان سببه صلاة العيد ، فأنه يتعدى إلى كلِّ ما هو خير، وقد قال الأصوليُّون : ((العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)) [2].

---

[1] أخرج الحديث بتمامه البخاريُّ في(صحيحه في كِتَاب الْحَيْضِ وَقَوْلُ اللَّه تَعَالَى ﴿ **وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ** ﴾ (سورة البقرة:٢٢٢)– باب شُهُود الحَائض العيدَين:١/١٢٣، حديث رقم (٣١٨)، وفي كتاب العيدين – باب خُرُوج النِّساء والحُيَّض إلى المُصَلَّى:١/٣٣١، حديث رقم (٩٣١)، وفي باب إذا لم يكن لها جِلبَاب في العِيد :١/٣٣٣، حديث رقم (٩٣٧) ، وفي كتاب الحجِّ –بَاب تَقضي الحائض المَنَاسك كُلّها: ٢/٥٩٥، حديث رقم (١٥٦٩)، ومسلم في (صحيحه : كتاب صلاة العيدين– باب ذكر إِبَاحة خروج النِّساء في العيدين إلى المُصَلَّى :٢/٦٠٥، حديث رقم (٨٩٠)). لمزيد الفائدة ينظر: وصايا الرسول (ﷺ) للنساء في الكتب الستة–دراسة تحليلية، رسالة ماجستير في الحديث النبويِّ ، قدمت من قبل نضال علي حسين، الجامعة العراقية–كلية أصول الدين،٢٠٠٩م:ص :ص ١٤–٢٠.

[2] ينظر :البحر المحيط في أصول الفقه: ٤/ ٢٦٩.

البحث عن الحكم الشرعي:

حين عاد أوس بن الصامت (ﷺ) من نادي قومه وراود زوجه خولة بنت ثعلبة عن نفسها بعد أن ظاهر منها امتنعت من حيث أنَّهما لا علم لهما بالحكم الشَّرعي لحالهما، وصارحته بأنَّها لا يمكن أن تجيبه إلى طلبه هذا إلاَّ بعد معرفة حكم الله ورسوله في ذلك، وإذا كانت بعض الروايات تقول أنَّها دفعته حتى أوقعته، إلاَّ أنَّ روايات أخرى تقول أنَّه طلب منها أن تذهب إلى رسول الله(ﷺ) لتسأله لأنَّه يستحي أن يذهب هو، فذهبت استجابة لذلك، وعلى هذا فهما متفقان على أخذ الحكم الشَّرعي من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وما حصل من مراودة فإنَّها لا تتعارض مع رغبته في معرفة حكم الله فيما حصل، وهذا يعني أنَّ المسلم حين يعترضه جهل في أمرٍ يريد الإقدام عليه فلا بدَّ له من أن يسأل أهل الذكر عن الحكم الشَّرعيِّ لهذا الذي يريده، مثال ذلك شخص لا يملك المال لدفع الزكاة فلا يجب عليه معرفة أحكام الزكاة، أمَّا إذا بلغ النصاب فيجب عليه معرفة أحكام الزكاة ، وهكذا ، فهذه الصحابية وزجها الجليلان بعد وقوع ما حصل لهما أقدما على استفتاء رسول الله (ﷺ) في ذلك ، فكان الجواب ما قد ذكره القرآن الكريم.

مراجعة الأعلى:

دفعت الحال العصبية التي حلَّت ببيت خولة، والكارثة المتوقعة التي قد تعصف بأركان هذا البيت الفقير أن تتحامل على حيائها لتقف بين يدي النبيّ(ﷺ) تشكو إليه ما حلَّ ببيتها مصرَّحة له عمَّا تستحي منه النَّساء، يساندها في ذلك شجاعة معروفة عند نساء الأنصار ، كما جاء في حديث عائشة (رضي الله عنها): ((نِعْمَ النِّساء نساء الأنصار لم يكن يمنَعُهُنَّ الحياء أن يتَفقَّهنَ في الدِّين)) [1] .

ولم تتوقف رضي الله عنها حين قال لها رسول الله(ﷺ): ((ما أراك إلاَّ قد حرمت عليه)) بل عادت تحاوره وتبرر حوارها بأنَّ هناك فرقاً بين الطلاق، والظهار فهو لم يطلقها بل ظاهرها، ومع علمها بأنَّ رسول الله (ﷺ) يعلم الفارق بينهما ومع

---

[1] رواه مسلم في(صحيحه:كتاب الحيض–باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم): ٢٦١/١، حديث رقم(٣٣٢)).

هذا قال لها ما قال إلاَّ أنَّها تمسكت بهذا الخيط الرفيع الذي يعطيها الحقّ في الحوار والنقاش فظلت تكرره، وتلح عليه حتَّى أوجدت منفذاً لها عند رسول الله(ﷺ)، حيث أجابها مرة بقوله: ((ما أمرت في شأنك بشيء حتَّى الآن)) ، وهذا تحول كبير في مدار الحوار فبعد أن كان يكرر حكم العرق في حرمتها عليه بقوله: ((ما أراك إلاَّ قد حرمت عليه))، أصبح ينتقل إلى إمكانية تغيير ذلك الحكم، وأنَّه ينتظر حكم الله فيه، حيث أنَّه لم يؤمر بشيء لا بموافقة الحكم الدارج ، ولا بالإعراض عنه إلى حكم شرعي مغاير.

ولعلَّ الحالة الحرجة التي مرت بها (رضي الله عنها) وخوفها من تحطيم بيتها وتشردها وضياع زوجها، وابن عمَّها الذي أحبته بعد أن طعن في السن، وهو بحاجة إلى امرأة ترعى شؤونه فهو في أشدِّ حالات الفقر والعجز والمرض، كلّ هذا جعل منها لا تتهاون في الإلحاح، والبحث عن المخرج، ولكنَّها أبداً لم تخرج عن الأدب الرفيع والخلق السامي مع رسول الله (ﷺ) بل كلما أصدمت بقوله عليه السلام:((ما أراك إلاَّ قد حرمت عليه))، عادت تشتكي إلى الله تعالى بذل وخشوع أبكى كلّ من كان في بيت النبوَّة كما قالت السيِّدة عائشة (رضي الله عنها) بل كادت نفسها تذهب، وهي تترقب انفراج الوحي عن حكم شرعي.

وقد كان النبيُّ عليه الصلاة والسلام يعرف هذا ويقدره قدره فلم يعنفها، ولم يتذمر من تكرارها الحوار لكنَّه (ﷺ) لا يملك حكماً ولا أمراً فهو مثلها في انتظار حكم الله وأمره، وأنا على يقين أن قلبه الكبير (ﷺ) كان يتفطر لحالها لكنَّه لا حول له ولا قوة ، فكان بانتظار التشريع الإلهي، وحين جاء الحكم بالحل انفرجت أسارير رسول الله (ﷺ) عن ابتسامة إزاحة الهم عنه قبل أن تتعرف هي الحكم الشرعي ، والذي جاء لختم هموم كُلّ نساء المسلمين من هذا الكابوس المرعب الذي سار عليه الجاهليُّون حتَّى أبطله الله تعالى في سورة المجادلة، فرضيَ الله عنها حيث كان إصرارها سبباً لهذا الحكم الشرعيّ المبارك.

الهدوء في الخطاب:

رغم المصيبة الكبيرة التي حلَّت بهذه الصحابية الجليلة إلاَّ أنَّها لم تفقدها توازنها ولم تجعلها تخرج عن سمت المسلمة الملتزمة بأدب القرآن الكريم وتوجيهاته

عند الحديث مع رسول الله(ﷺ) فقد ردت السيدة عائشة (رضي الله عنها) سكون هذه الصحابية حين تحاور رسول الله (ﷺ) حيث قالت: ((تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله (ﷺ) وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتَّى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتّى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات:﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾)) [1] ، وفي رواية أخرى عنها (رضي الله عنها) قالت: ((الحمد لله الذي توسع لسمع الأصوات كلها، لقد جاءت المجادلة ، فكلمت رسول الله (ﷺ) وأنا في جانب البيت لا أدري ما تقول ..الحديث)) [2].

وتأتي عظمة هذه المرأة من أنَّها خارجة عن المألوف، فعادت النساء في مثل هذه الحال أن يولولن، ويرفعن أصواتهن، لكن هذه الصحابية الجليلة التزمت التزاماً بتوجيهات القرآن الكريم في مخاطبة الرسول(ﷺ) كما أرشدنا القرآن الكريم بقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (الحجرات: ٢).

الوصية في الزوج الضعيف:

حين وصفت خولة (رضي الله عنها) زوجها بصفاتٍ هي فيه، والتي تسببت بما وقع لهما من البلاء، حيث وصفته بأنَّه ((ساء خلقه وضجر))، لم يرض ذلك رسول الله (ﷺ) ولم يقرها على ذلك، بل أوصاها به خيراً فقال عليه الصلاة والسلام مصغراً اسمها عطفاً منه، وتليناً لقلبها : ((يا خويلة: ابن عمَّك شيخ كبير، فاتقي الله فيه))، ولم يكتف بهذا بل أكده (ﷺ) حيث انتهت المأساة بالفرج القريب

---

[1] أخرج هذه الرواية ابن ماجه في(سننه:كتاب الطلاق-باب الظهار:١/ ٦٦٦، رقم(٢٠٦٣))، والحاكم في(المستدرك:تفسير سورة المجادلة:٥٢/٢، رقم(٣٧٩١))، قال الحاكم: وزوجها أوس بن الصامت، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فصححه.

[2] سبق تخريجها ،ينظر ص:٨،هامش ٢.

حيث جاء القرآن الكريم بالحل فقال لها رسول الله(ﷺ):((...فاذهبي فتصدقي به عنه ، ثمَّ استوصي بابن عمك خيراً)).

فالرسول الأعظم (ﷺ) مع علمه بصحة ما وصفته به لكنَّه الرؤوف الرحيم أبى أن يترك لها العنان أن تطعن به أيام شيخوخته فهو مثلها أعطاها مثل ما أعطته أيام شبابهما.

عمر بن الخطَّاب أمير المؤمنين يقف إجلالاً لها.

خرج عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو إذ ذاك أمير المؤمنين من المسجد فلقي خولة ينت ثعلبة في طريقه فسلم عليها فردت السلام واستوقفته فوقف معها طويلاً حنى تذكر بعض الروايات أنه وضع يديه على منكبيها، ومما تحدثت به معه واعظة أياه قائلة: " هيه يا عمر، عهدتك وأنت تسمَّى عميرا في سوق عكاظ تصارع الصبيان، فلم تذهب الأيام والليالي حتَّى سمِّيت عمر، ثم لم تذهب الأيام حتَّى سمِّيت أمير المؤمنين، فاتق الله في الرعية، واعلم أنَّه من خاف الوعيد قرب منه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت، فبكى عمر (رضي الله عنه) " ، فاعترضها بعض من كان في معية أمير المؤمنين (الجارود العبدي) [1] قائلاً: "هيه، فقد أكثرت، وأبكيت أمير المؤمنين، فقال له عمر رضي الله عنه وعنها: أما تعرف هذه؟ ، هذه خولة التي سمع الله قولها من سمائه، فعمر والله أجدر أن يسمع لها"[2] ، في رواية فقال له

---

[1] الجارود العبدي: صحابي جليل اسمه بشر، واختلف في اسم أبيه، فقيل:المعلى أو العلاء، وقيل: عمرو، يكنى أبا غياث، وقيل:أبا عتاب، استشهد سنة ٢١هـ).(ينظر ترجمته في:التاريخ الكبير للبخاريِّ:٢/٢٣٦، الاستيعاب:١/٢٦٢، الإصابة:٨/ ١١٦، تهذيب التهذيب:٢/ ٥٣).

[2] رواه ابن شبه في(تاريخ المدينة:٢/٣٩٤، ٢/ ٧٧٣)، وفي إسناده خليد بن دعليج السدوسي، ضعيف سيء الحفظ.(تقريب ١٩٥)، وفيه انقطاع بين(قتادة بن دعامة– وهو ثقة من الرابعة) وبين عمر(رضي الله عنه)، فالأثر ضعيف.هذا وفي هذا الخبر أن التي سمع الله قولها هي خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصامت، بدل خولة بنت ثعلبة، زوجة أخيه أوس بن الصامت، وقد أفاد ابن عبد البر في(الاستيعاب:٤/١٨٣١)، وتبعه ابن حجر في(الإصابة :٨/ ٦٩) بأنَّ في هذا وهم، وخليد ضعيف سيء الحفظ، وإنَّما هي امرأة أوس بن الصامت على الاختلاف في اسم أبيها، ورواه ابن كثير في(تفسيره:٨/٦٧) بإسناد ابن أبي حاتم، عن أبي يزيد، وفيه:" لقيت امرأة عمر

قائل: " حبست النّاس لأجل هذه العجوز، قال عمر بن الخطاب: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها"[1]، وفي رواية أخرى: فقيل له: يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف؟ . قال (ﷺ) :" والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره ما زلت إلا للصَّلاة المكتوبة، إنَّها خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر". [2]

وبعد هذا أقول:هذا السرد للقصة راعيت فيه الأصوب من الروايات، حيث وردت روايات كثيرة بعضها مخالف للصواب كالرواية التي نسبت إلى عمر بن الخطاب(ﷺ) أنَّه اسمَّاها خولة بنت حكيم ، وأنَّها امرأة عبادة بن الصامت، وهو خطأ بل هي زوجة أخيه أوس بن الصامت ، كما ذكرت بعض الروايات بديلا عن قولها: " يروع الصبيان لعصاك" ترعى الضأن بعصاك"[3]، ولعلَّ ترويع الصبيان هو الأشبه بحال عمر بن الخطاب من القوة والشجاعة الموصوف بها طيلة عمره، بل ولعلَّ تسمِّيته (عمير) جاءت من هؤلاء الصبيبة المقهورين بسوطه فأطلقوها عليه– حسداً منهم لقوته وبطشه بهم آنذاك.

والذي نريد أخذه في موضوعنا من هذه الحادثة هو إعظام الخليفة الراشد عمر ابن الخطاب لهذه الصحابية الجليلة التي سمع الله تعالى شكواها واستجاب لطلبها فنزل بسببها حكم شرعي حل معضلة كان الناس– وخاصة النساء–يجابهونها.

يقال لها:خولة بنت ثعلبة، وهو يسير مع الناس فاستوقفته...قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضى حاجتها إلاَّ أن تحضر صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها"، قال ابن كثير:هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب، وقد روي من غير هذا الوجه.

[1] أوردها ابن العماد في (شذرات الذهب:١/١٤٢).

[2] أوردها القرطبي في(تفسيره:الجامع لأحكام القرآن:١٧/ ٢٦٩–٢٧٠)، وابن العادل في(تفسيره: اللباب:١٨/ ٥١٤–٥١٥)، الخلوتيُّ في (تفسيره= االسراج المنير:٤/٢١٩).

[3] أخرج هذه الرواية ابن عبد البر في(الاستيعاب:٤/١٨٣١).

المبحث الثالث

نزول القرآن الكريم بين الفور والتراخي

معلوم للباحثين أنَّ القرآن الكريم قد ينزل بلا سبب، وقد ينزل على سبب، وما يكون لسبب قد ينزل فوراً، وقد يتأخر أياماً بل أشهراً، ولعلهم تناولوا هذا الموضوع بتفاصيل، وما نقف عنده في بحثنا هو المقارنة بين النزول الفوري لحادثة خولة وزوجها فيما تأخر شهراً في حادثة (الأفك) وأكثر من خمسين يوماً في حادثة (الثلاثة الذين خلفوا في معركة تبوك).

والذي أراه : أنَّ في حادثة الأفك ، والثلاثة الذين خلفوا، اختبار وتمحيص للأمَّة كلها وليس لمن حصلت لهم فقط، أمَّا حادثة المظاهر منها زوجها فليس فيها هذا المعنى، وتفاصيل ذلك كالأتي:

أولاً: حديث الأفك:

قول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(النور: ١١).

واتهام زوج النَّبيِّ (ﷺ) بالفاحشة هو اتهام يحمل كذبه منذ اللحظات الأولى لابتداعه للأسباب الآتية:

١- يخبر الله تعالى في نص كتابه العزيز أنَّ أزواج النبيّ مطهرات من الرجس،حيث يقول تعالى مخاطباً زوجات النَّبيِّ(ﷺ) حصراً:﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾(الأحزاب:٣٣، ٣٤).

فهل يعقل أن يقع لإحداهن ما يخل بالطهر الذي حكم الله به لهنَّ وقوعاً ؟، اللهم إلاَّ من المنافقين أو ممَّن لا يسلم بصدق القرآن الكريم.

٢- أمَّا عائشة- المفترى عليها- فإنَّ لها ميزة أخرى إضافة إلى دخولها في النص القرآني مع زوجات رسول الله (ﷺ) وهذه الميزة أن زواج رسول الله (ﷺ) بها لم يأت باختيار من الرسول عليه السلام بل بإمضاء من الله تعالى ، كما جاء في رواية البخاري، ومسلم أنَّ رسول الله (ﷺ) رأى رؤيا- ورؤيا الأنبياء وحي- ولثلاث ليال متتاليات ملكاً يأتيه بقطعة من حرير مرسوم عليها صورة السيدة عائشة ويقول له هذه امرأتك فيجيب الرسول عليه السلام بقوله:((أن يك هذا من عند الله يمضه))[١]، وقد تم هذا الزواج فهو أذن من عند الله وإمضائه، ترى فهل يختار الله تعالى لرسوله امرأة يعلم أنَّها ستقع فيما لا يليق ببيت الطهر والنبوَّة؟ حاشاهما وحاشاها.

أمَّا لماذا تأخر نزول براءتها، فواضح جداً لمن يقرأ الآيات القرآنية التي أوردناها بتدبر، يدرك السبب وهو:اختبار الأمَّة فيما تذهب إليه في مثل هذه المواقف لتعبر كفة المؤمنين كما قال أبو أيُّوب الأنصاريُّ لزوجته حينما تحاروا فقالت له أم أيُّوب:((يا أبَّا أيوب، ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟، قال:بلى، وذلك الكذب، أكنت يا أمّ أيوب فاعلة؟، قالت:لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك)) [٢].

وهذا الذي قاله أبو أيُّوب قاله المؤمنون، وأشاد به القرآن الكريم، بقوله تعالى:﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ

---

[١] رواه البخاريٌّ عن عائشة(رضي الله عنها) في (صحيحه :كتاب مناقب الأنصار-باب تزويج النبي (ﷺ) عائشة، وقدومها المدينة، وبنائه بها:٥/ ٥٥، حديث رقم(٣٨٩٥)، وفي كتاب النكاح -باب نكاح الأبكار:٧/٥، حديث رقم(٥٠٧٨)، وفي باب النظر إلى المرأة قبل التزويج:٧/١٤، حديث رقم(٥١٢٥)، وفي كتاب التعبير-باب كشف المرأة في المنام:٩/٣٦،حديث رقم(٧٠١١))، وفي باب ثياب الحرير في المنام:٩/ ٣٦، حديث رقم(٧٠١٢))، ومسلم في(صحيحه: فضائل الصحابة- باب في فضل عائشة:٤/ ١٨٨٩، حديث رقم(٢٤٣٨)، بلفظ: قال رسول الله (ﷺ): " أريتك في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سرقة من حرير... فأقول: إن يك هذا من عند الله، يمضه "، وعند البخاري "أريتك في المنام مرتين".

[٢] ينظر :مغازي الواقدي:٢/٤٣٤، سيرة ابن هشام:٢/٣٠٢-٣٠٣.

﴿مُّبِينٌ﴾(النور:١٢)، وليكشف عوار المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، لتقع السياط على جلودهم التي استحقت الألم كما سببوا الألم لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آل بيته الأطهار.

ثانياً- الثلاثة الذين خلفوا:

استعد رسول الله(ﷺ) لمعركة تبوك ، وطلب من المسلمين الاستعداد لها لكونها بعيدة الشقة وفي وقت حار، ثم ساروا إليه وعندما عاد منها جاء المتخلفون يعتذرون بشتى الأعذار غير أنَّ ثلاثة من المتخلقين لم يرغبوا في الاعتذار الكاذب بل أعلنوا أمام رسول الله (ﷺ) أنَّهم لا عذر لهم، فهذا أحدهم وهو كعب بن مالك(رضي الله عنه) يقول: فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتَّى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك، ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟ ،. فقلت: بلى، إنِّي والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله، لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكنِّ الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق، تجد عليَّ فيه، إنِّي لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله (ﷺ): " أمَّا هذا فقد صدق، فقم حتَّى يقضي الله فيك"[1].

وهذا يعني أنَّ رسول الله (ﷺ) ومنذ البداية قد أخبر عن صدق هؤلاء المؤمنين لكن لمَ لم ينزل فيهم قضاء الله إلاَّ بعد خمسين يوماً كما أخبر كعب بن ملك؟.

وما ذلك إلاَّ لإعطاء درس للمسلمين وتحذيراً لهم من الوقوع فيما وقع فيه هؤلاء الصادقون حيث إنَّ انتظارهم طال حتى تزلزلت الأرض تحت أقدامهم كما وصفها

---

[1] طرف من حديث أخرجه البخاريُّ في(صحيحه: كتاب المغازي-باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عزّ وجلّ:{ وعلى الثلاثة الذين خلفوا}(التوبة ١١٨):٦/٣، حديث رقم(٤٤١٨))، ومسلم في (صحيحه: كتاب التوبة-باب حديث توبة كعب بن مالك :٤/٢١٢٠، حديث رقم(٢٧٦٩)).

القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة: ١١٨).

إذن فتأخر التوبة له مغزى عظيم من الصقل، والتمحيص لهؤلاء الثلاثة أولاً ودرس للآخرين لعدم سلوك دربهم وان كانوا صادقين فيما قالوه، ونؤكد ذلك بقول كعب بن مالك :" حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله (ﷺ) عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ، أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج" [1].

ثالثاً: حادثة الظهار

أمَّا حادثة الظهار فلا تحمل أي شيء ممَّا حصل في حادثتي الأفك، والذين تخلفوا، فهي مجرد خطأ وقع فيه شخص تحت تأثير المرض في مسألة لم يرد فيها تشريع سابق وجاءت المرأة الصالحة تستفتي رسول الله (ﷺ) فيما هم فاعلوه ، فنزل القرآن الكريم مبيناً حكم ما سألوا عنه ، وأن كان فيه نوع تكريم لهم فلا يعني هذا أن تأخر الوحي في بعض المسائل ليس فيه تكريم لأصحابها بل لكل أمر متطلباته والخالق العظيم أدرى كيف ينزل آياته على رسوله الكريم(ﷺ).

[1] المصدر السابق ، وينظر: سيرة ابن هشام:٢/ ٥٣٥.

الخاتمة

بعد هذا العرض لحادثة الظهار والمجادلة فيه، وكيف وقفت هذه الصحابية الجليلة خولة بنت ثعلبة تشتكي إلى الله حالتها المريرة ان استمر حكم الجاهلية في الظهار، وأنَّه طلاق بائن لا رجوع معه إلى بيت الزوجية، نأتي الآن لنخلص ما عرضناه في هذا البحث:

أولاً: الملجأ الوحيد للمسلمين رجالاً ونساءً في حل مشكلاتهم بما يثلج القلب ويعيد الاطمئنان هو الرحمة المهداة رسول الله(ﷺ)، فما أن أحست خولة وزوجها أوس أنَّهما قد وقعا في ورطة أدركا أن لا يخلص لهما منها إلاَّ اللجوء إلى رسول الله(ﷺ)، وهكذا كان.

ثانياُ: اسرعت خولة إلى بيت رسول الله(ﷺ) وجلست بين يديه تبث له حزنها وتشتكي سوء خلق زوجها.

ثالثاً: لم تستسلم حين أخبرها النبيُّ بقوله: " لا أظنك إلاَّ حرمت عليه"، بل ذهبت تطلب ابطال هذا الحكم الجاهلي بآخر، آلهي يعيد للناس استقرارها، واستمرت في هذا الحوار طويلاً.

رابعاً: كان حوارها هادئاً لا يخرج عن سمت الأدب في محادثة الرسول عليه السلام مع صعوبة الموقف التي هي به.

خامساً: استجاب الله لطلبها وأنزل حكم الظهار فعادت إلى زوجها بالحل، وعادت إلى الأُمَّة بالراحة والطمأنينة .

سادساً: هذا الموقف الشجاع منها جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب يقف إجلالاً لها.

سابعاً: يبين البحث أنَّ نزول القرآن، فوراً أو متراخياً يتماشى مع حال الحادثة، فلمَّا كان حال المجادلة لا يقبل التأخير نزل فوراً، فيما تأخر في مواطن أخرى؛ لأسباب أبرزها الاختبار والتمحيص، والله أعلم.

المصادر

القرآن الكريم

١. أسباب نزول القرآن، لأبي الحسن، الواحديِّ (ت٤٦٨هـ)،حقَّقه:الحميدان، النَّاشر : دار الإصلاح–الدَّمام، ط٢،١٤١٢ هـ –١٩٩٢ م.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب،لأبي عُمَر،ابن عبد البرِّ(ت ٤٦٣هـ)، حققه: البجاويُّ،النَّاشر:دار الجيل، بيروت،ط١،١٤١٢ هـ– ١٩٩٢م. عدد الأجزاء: ٤.

٣. الإصابة في تمييز الصَّحابة،لأبي الفضل،ابن حجر العسقلانيّ(ت ٨٥٢هـ)، حقَّقه:عبد الموجود، ومعوض،النَّاشر:دار الكتب العلميَّة– بيروت،ط١،١٤١٥هـ،

٤. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال،لمغلطاي بن قليج،علاء الدِّين(ت٧٦٢هـ) حققه:عادل بن محمَّد،النَّاشر:الفاروق الحديثة، ط١،١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

٥. البحر الرَّائق شرح كنز الدَّقائق،لزين الدِّين بن إبراهيم،ابن نجيم(ت٩٧٠هـ)، النَّاشر:دار الكتاب الإسلاميِّ، ط٢.

٦. البداية والنِّهاية،للمؤلف: أبي الفداء، ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)،حققه:التُّركيُّ، النَّاشر: دار هجر ، ط١،١٤١٨ هـ– ١٩٩٧ م.

٧. البرهان في أصول الفقه، لإمام الحرمين الجوينيّ(ت ٤٧٨هـ)،حققه:عويضة، النَّاشر:دار الكتب العلميَّة–بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لشمس الدِّين الذَّهبيِّ(ت ٧٤٨هـ)، حققه:التَّدمريِّ، النَّاشر:دار الكتاب العربيِّ، بيروت،ط٢ ،١٤١٣ هـ–١٩٩٣ م.

٩. التَّأريخ الكبير لأبي عبد الله البُخاريِّ(ت ٢٥٦هـ)، طبعة:دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر آباد– الدَّكن.

١٠. تاريخ المدينة لابن شبة،لعمر بن شبة ،أبي زيد(ت ٢٦٢هـ)،حققه: شلتوت،طبع على نفقة:السيد حبيب محمود أحمد– جدة،١٣٩٩هـ.

١١. تفسير الرَّازيِّ=مفاتيح الغيب أو التَّفسير الكبير،لأبي عبد الله، فخر الدِّين، الرَّازيِّ(ت ٦٠٦هـ)،النَّاشر:دار إحياء التُّراث العربيَّ–بيروت،ط٣، ١٤٢٠ هـ.

١٢. تفسير الطَّبري=جامع البيان عن تأويل آي القرآن،لمحمَّد بن جرير،أبي جعفر الطَّبريِّ(ت٣١٠هـ)،حققه:التُّركيُّ،النَّاشر:دار هجر، ط١، ١٤٢٢ هـ -٢٠٠١م.
١٣. تفسير القرآن العظيم(لابن كثير)،لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت ٧٧٤هـ)،حقَّقه:شمس الدِّين،النَّاشر:دار الكتب العلميَّة، ط١،١٤١٩هـ.
١٤. تفسير الماوردي=النكت والعيون،لأبي الحسن علي بن محمد،الماوردي(ت ٤٥٠هـ)، حققه:السيد ابن عبد المقصود،الناشر:دار الكتب العلمية-بيروت.
١٥. تفسير غريب ما في الصَّحيحين البخاريِّ ومسلم،لأبي عبد الله، الحميدي (ت٤٨٨هـ)،حققه:د.زبيدة، النَّاشر:مكتبة السُّنة-القاهرة،ط١،١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
١٦. تهذيب الأسماء واللُّغات،لأبي زكريّا، محييّ الدِّين النَّوويِّ(ت ٦٧٦هـ)،النَّاشر: دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان.
١٧. تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال،لأبي الحجَّاج،جمال الدِّين المزيِّ(ت ٧٤٢هـ)، حقَّقه:د. بشار عواد ،النَّاشر:مؤسسة الرَّسالة-بيروت، ط١،١٤٠٠- ١٩٨٠.
١٨. الثقات،لابن حبان أبي حاتم (ت ٣٥٤هـ) ،النَّاشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدَّكن الهند،ط١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣.
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير، أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ)، حققه:أحمد محمد شاكر،الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠ هـ -٢٠٠٠ م.
٢٠. الجامع المسند الصَّحيح المختصر من أمور رَسُول الله(ﷺ) وسننه وأيامه= صحيح البُخارِيِّ،لأبي عبد الله البُخارِيِّ،حقَّقه:الناصر،النَّاشر:دار طوق النَّجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢١. الجامع لأحكام القرآن=تفسير القُرطبيِّ،لأبي عبد الله، شمس الدِّين القُرطبيِّ(ت ٦٧١هـ)، حقَّقه:البردونيُّ ،النَّاشر:دار الكتب المصريَّة-القاهرة، ط٢ ، ١٩٦٤ م.
٢٢. الجرح والتَّعديل،لأبي محُمَّد عبد الرَّحمن،ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)،النَّاشر: دائرة المعارف العثمانيَّة-بحيدر آباد الدَّكن -الهند،ط١، ١٢٧١ هـ- ١٩٥٢ م.
٢٣. رد المحتار على الدُّر المختار،لابن عابدين، محمَّد أمين بن عمر(ت١٢٥٢هـ) النَّاشر: دار الفكر-بيروت،ط٢،١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٤. الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس، لأبي بكر الأنباريِّ(ت ٣٢٨هـ)،حقَّقه:د. صالح الضَّامن،النَّاشر: مؤسسة الرِّسالة – بيروت،ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.
٢٥. سنن ابن ماجه،لأبي عبد الله محمَّد،ابن ماجه(ت ٢٧٣هـ)،حققه:محمَّد فؤاد عبد الباقي،النَّاشر: دار إحياء الكتب العربيِّة،فيصل عيسى البابيُّ الحلبيُّ.
٢٦. سنن أبي داود،لأبي داود سليمان السِّجِسْتانيِّ (ت ٢٧٥هـ)،حقَّقه:محمَّد محيي.
٢٧. السُّنن الصَّغيرِ ،لأبي بكر ،أحمد بن الحسين البيهقيِّ(ت ٤٥٨هـ)، حقَّقه:قلعجي، النَّاشر :جامعة الدِّراسات الإسلاميَّة-باكستان،ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٢٨. سيرة ابن إسحاق، لمحمَّد بن إسحاق(ت ١٥١هـ)،حققه:سهيل زكار ،النَّاشر :دار الفكر-بيروت،ط١، ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
٢٩. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام،لعبد الملك بن هشام،جمال الدِّين(ت٢١٣هـ)،حققه: مصطفى السَّقا،النَّاشر :مصطفى البابي الحلبي وأولاده،ط٢،١٣٧٥هـ- ١٩٥٥ م.
٣٠. الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة،لأبي نصر الجوهريِّ الفارابيِّ(ت ٣٩٣هـ)، حقَّقه:أحمد عطَّار ،النَّاشر :دار العلم للملايين-بيروت، ط ،١٤٠٧ هـ-١٩٨٧م.
٣١. صحيح ابن حِبَّان بترتيب ابن بلبان،لمحمَّد بن حبَّان،أبي حاتم(ت ٣٥٤هـ) ، حقَّقه:الأرناؤوط،النَّاشر :مؤسسة الرِّسالة- بيروت،ط٢،١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٣٢. الطَّبقات الكبرى،لأبي عبد الله مُحمَّد،ابن سعد(ت ٢٣٠هـ)،حقَّقه:إحسان عبَّاس، النَّاشر: دار صادر- بيروت،ط١،١٩٦٨ م.
٣٣. غريب الحديث،لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم(ت٢٢٤هـ)،حققه،محمَّد عبد المعيد، النَّاشر :مطبعة دائرة المعارف العثمانيَّة،حيدر آباد-الدَّكن،ط١،١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
٣٤. غريب الحديث،لأبي سليمان،الخطَّابي(ت ٣٨٨هـ)،حققه:الغرباويُّ،النَّاشر: دار الفكر، بدون طبعة،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
٣٥. فتح الباري شرح صحيح البُخاريِّ،لابن حجر العسقلانيِّ(ت ٨٥٢هـ)، النَّاشر: دار المعرفة-بيروت،١٣٧٩ هـ.
٣٦. الكافي في فقه الإمام أحمد،لابن قدامة المقدسيِّ (ت٦٢٠هـ)،النَّاشر :دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٣٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، لأبي إسحاق الثعلبي (ت ٤٢٧هـ)،حقَّقه: ابن عاشور،النَّاشر:دار إحياء التُّراث العربيَّ، بيروت،ط١،١٤٢٢، هـ-٢٠٠٢ م.
٣٨. المجتبى من السُّنن(الصُّغرى)،لأبي عبد الرحمن،النَّسائيِّ(ت٣٠٣هـ)،حققه:أبو غدة، النَّاشر:مكتب المطبوعات الإسلاميَّة-حلب،ط٢،١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
٣٩. المزَّهر في علوم اللُّغة وأنواعها،لعبد الرَّحمن،جلال الدِّين السِّيوطيِّ(ت٩١١هـ)، حقَّقه: منصور،النَّاشر:دار الكتب العلميَّة-بيروت، ط١،١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٤٠. المستدرك على الصحيحين،لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)،حققه: مصطفى عبد القادر،الناشر:دار الكتب العلمية-بيروت،ط١،١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٤١. مسند الإمام أحمد بن حنبل،للمؤلف: أبي عبد الله، أحمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ)، حقَّقه: الأرناؤوط، آخرون ،النَّاشر: مؤسسة الرِّسالة،ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٤٢. المسند الصَّحيح المختصر،لمسلم بن الحجَّاج، أبي الحسن(ت٢٦١هـ)،حقَّقه: مُحمَّد فؤاد عبد الباقي،النَّاشر:دار إحياء التُّراث العربي- بيروت.
٤٣. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار،لابن حبَّان،(ت٣٥٤هـ) حققه: مرزوق، النَّاشر:دار الوفاء-المنورة، ط١،١٤١١ هـ-١٩٩١ م.
٤٤. المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير،لأبي العباس،أحمد بن محمَّد (ت نحو ٧٧٠هـ)،النَّاشر:المكتبة العلميَّة- بيروت.
٤٥. معالم التَّنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغويِّ،لابن مُحمَّد بن الفرَّاء البغويِّ(ت ٥١٠هـ)، حقَّقه:المهدي،النَّاشر:دار إحياء التُّراث العربي-بيروت،ط١،١٤٢٠ هـ.
٤٦. المعجم الكبير، لأبي القاسم، سليمان بن أحمد الطَّبرانيِّ(ت٣٦٠هـ)،حقَّقه: حمدي السَّلفي، النَّاشر: مكتبة ابن تيميَّة - القاهرة،ط٢.
٤٧. معرفة الصَّحابة لابن مندة،لأبي عبد الله محمَّد،ابن مَنْدَه(ت٣٩٥هـ)،حققه: صبري،النَّاشر:مطبوعات جامعة الإمارات العربيَّة المتحدة،ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤٨. معرفة الصَّحابة،لأبي نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهانيِّ(ت ٤٣٠هـ)،حققه: العزازيُّ، النَّاشر:دار- الرِّياض، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٤٩. المغني لابن قدامة، لأبي محمَّد موفق الدِّين، ابن قدامة المقدسيِّ(ت ٦٢٠هـ)، النَّاشر: مكتبة القاهرة، بدون طبعة.